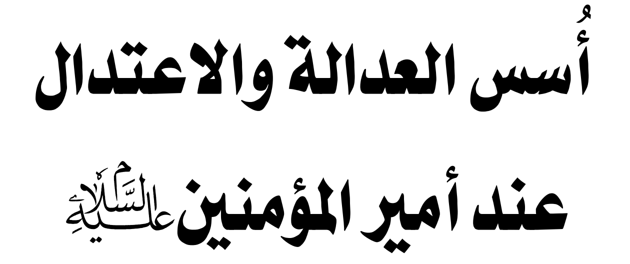
أُسُسُ العَدالَةِ والاعتِدال

عِندَ أميرِ المؤمنين عليه السلام



محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان



محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان



هوية الكتاب

اسم الكتاب: .... اسس العدالة والاعتدال عند أمير المؤمنين عليه السلام

اسم المؤلف: ....محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان

الطبعة : .... الرابعة

السنة : ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م

المطبعة: .... الكلمة الطيبة – النجف الاشرف/ العراق

الناشر :... دار البذرة





مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأمين محمد وآله الطاهرين.

وبعد..

فإنَّ تحقيق العدالة، وانتهاج الاعتدال، من ضروريات الحياة واستقرارها؛ كونهما يحققان ضمان الحقوق، وبسط الأمن؛ مما يبعث على طمأنة الجميع، بعدم التجاوز على أحدٍ -من الغالبية أو الأقليات أو الجاليات-والحكم بينهم ومعهم وفقاً للضوابط، بميزان الإنصاف؛ بحيث لا يشعرون بتهديدٍ للحياة أو المقدسات أو الممتلكات، ولا يعانون من تهميش الأدوار، بما يحثّ على العمل والمشاركة الفاعلة في عملية بناء البلاد، وما يحقق رخاءها

وازدهارها.

وإنَّ هذا الدور الكبير والمؤثر للعدالة والاعتدال، منبثقٌ من امتدادهما الطبيعي للعدل الذي«**يَضَعُ الأُمُورَ مَوَاضِعَهَا**»[1]، ويحسم القضايا المتنازع عليها، ويسوس الأمور ويوجهها نحو التعايش السلمي، بين جميع المكونات ضمن مساحة المشتركات.

وبهذا كان كلٌ من العدالة والاعتدال منجزاً عظيماً، يلزم السعي لتحقيقه دائماً، والعمل على تفعيل دوره في المجتمع؛ ليسود ثقافةً، ويعمّ سلوكاً، فينعم الناس بفوائده وثمراته؛ ويتحول الى مفردة مألوفة للجميع، بفئاتهم ومستوياتهم المتعددة، يتعاملون به، ويستحضرونه في يومياتهم؛ حيث تمسّ الحاجة جداً اليه في ظل تحديات الأوضاع العالمية والإقليمية الضاغطة، والمنعكسة على تصاعد وتيرة الأحداث والتشنجات، وانتشار مظاهر العنف وتغييب الآخر وتهميش دوره، وارتفاع درجة الأنا الى حدّ مقلق، مع انخفاض درجة الشعور بالمسئولية-أحياناً-؛ وذلك من خلال التهاون في أداء الحقوق والواجبات، والتسامح في الانضباط الديني

(١) نهج البلاغة: ٥٥٣ رقم ٤٣٧.

والأخلاقي والمهني، والترهل في الأداء الوظيفي، مع ما يترتب على كلٍ من مفاسد ومضار خاصة أو عامة.

فكان لزاماً ترسيخُ مفاهيم السِلم والسلام والتسامح، واستبدال خطاب الكره بالحب للآخر -ضمن مساحة المشتركات-، وتعبئة روح التسامح، والتسامي على الأنا والمصالح الشخصية، والاهتمام بالمصلحة العامة، و ايفاء الآخر حقه، والإنصاف له، وعدم الميل عليه، والتوازن في العلاقات، وغيرها من المفاهيم والقيم التي تنطلق من العدالة والاعتدال، كمرتكز أساس، وتعتمدهما مبدأً في التعاطي مع الآخر؛ وذلك كلُّه لتدارك آثار الخسائر الفادحة التي أصابت الجميع، وعمّتهم سلبياتها، حتى شاع بسببها الدمار والاجتياح و مصادرة الحريات و سلب الحقوق وانتهاك الحرُمات تحت شعارات يحترمها الناس، مما أدى الى تشويش الأفكار، أو تشويه الانطباعات، وكفى بهما سلبية يجب تفاديها، والتوقي عن أضرارها؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿**لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ**﴾[1]، ينظِّم طبيعة إدارة ملف العلاقات بين أفراد المجتمع، وتنميتها بما يحفظ حقوق جميع

(١)سورة البقرة: من الآية ٢٧٩.

الأطراف، ويحقق توازن القوى، ويحدّ من تكوّن استقطابات أو تفاهمات على حساب كرامة الإنسان و عزته وسلامته، وبذلك تكاد تنعدم أو تتقلص مظاهر التطرّف و العنف والاستبداد وسواها مما غيّب لغة الحوار والتفاهم، وقتّم الأجواء بالرعب والخوف.

وقد اتسقت مع هدَي القرآن المجيد، أحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ووصايا سائر المعصومين عليهم السلام؛ إذ اهتموا اهتماماً كبيراً ملحوظاً بالعدالة والاعتدال، والحث على ممارستهما ميدانياً.

وفي هذا البحث إضاءات من السيرة العلوية المباركة، توثق للاهتمام العلوي بإقامة العدل؛ من خلال التنظير لسيادة العدالة في المجتمع، والحدَّ من امتدادات الظلم والاضطهاد والتجاوز والتفريط، والتأكيد على محورية الاعتدال في حفظ توازنات الأفراد والجماعات، وتأمين حقوقهم، فجديرٌ بالأمة الاستماع للنصح العلوي، والاتباع له؛ لأنَّها توجيهات توأم الحق ووصاياه ؛ بشهادة الرسول الصادق الأمين صلى الله عليه وآله حيث قال: «**عليٌّ مع الحق، والحقُ مع علي**»[1]، وهو باب مدينة العلم؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنا**

(١)ينظر: تاريخ بغداد٣٢٢/١٤ ،تاريخ مدينة دمشق٤٤٩/٤٢، مجمع الزوائد٢٣٥/٧.

مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها، فمَنْ أراد المدينـةَ فليـأتِ البـابَ»[1]، يحقُّ الاسترشاد بسيرة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبـي طالـب عليه السلام من أجل النهوض بالواقع المعاصر ودعمه، بما يعـزز مـن قـوة البُنـى الأخلاقية، والركائز المعنويـة للمجتمـع، قبـل أنْ يـزداد تأثرُهـا بقـوة فعل المد الجارف، والعمل المبرمج ضـمن توقيتـات وجدوَلَـة، مـن عدة أطراف، تستهدف الإنسـان فـي عمقـه، والقضـاء علـى منظومـة القيم لديه، والله تعالى المستعان على ما يصفون.

محمد صادق الخرسان
العراق/النجف الأشرف
١٥ شعبان ١٤٣٥هـ

---

(١)المستدرك/ للنيسابوري: ٣/ ١٢٦، و قال عنه: (هذا حـديث صـحيح الاسـناد، ولـم يخرّجاه).

تمهيد

لابد من تعريف مفردات عنوان البحث، وهي كلٌ من: الأسس، والعدالة، والاعتدال؛ لمشاركتها الفاعلة في بلورة المراد، و توضيح الهدف من عنوان البحث، المرتكز على ثلاثية ذات أبعاد متناسبة في الدلالة على الموضوع:

١- الأسس لغةً، كلمةُ جمعٍ لأساس، والأساس والأُس مشتق من مادة(الهمزة والسين، يدل على: الأصل والشيء الوطيد الثابت)[١]، و(جمع الأس إساس –بالكسر– وجمع الأساس أسس بضمتين)[٢]، وكون الأساس والأُس، بمعنى واحد، لا يوجب اتحاد صيغة جمعهما؛ إذ اللغة سَماعية.

(١) ينظر: مقاييس اللغة/ ابن فارس: ١/ ١٤ .

(٢) ينظر: مختار الصحاح/ الجوهري: ١٦.

والظاهر ليس ثمة اصطلاحٍ للمستعملين سوى ذلك، فالفنّيّ المعماري، أو المهندس، أو غيرُهما من مستخدمي هذه المادة اللغوية، لم يتناولوا معنى آخر يتجاوز حدود ما تقدم؛ حتى أنّ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) عدَّ من خصائص كتابه أساس البلاغة «تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح ، بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح»(١)، بما يعطي معنى تأصيل الحقائق وفرزها عن المجازات، وهو بالتالي رجوعٌ للأصول والثوابت.

٢- العدالة لغةً، من مشتقات مادة(العين والدال واللام، أصلان صحيحان لكنهما متقابلان كالمتضادين، أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج).(٢)

ولما كانت تعريفات المهتمين ببيان معنى العدالة أخلاقياً أو فقهياً أو غيرَهما، مما تجري مجرى الاستواء الدال على الاعتدال، فلا يبعد القولُ بعدم وجود معنى اصطلاحي لها؛ بعد اتحاد مصدر الإلهام اللغوي لهم، وإنْ تعددت قوالبهم اللفظية؛ ليكون تعريف «العدالة:

---

(١) أساس البلاغة: ٨.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤/ ٢٤٦.

بالاستقامة»[1]، ليس خروجاً عن المعنى اللغوي الموضوع له، بل هو استعمال لمعنى الاستقامة، التي هي أقرب ما تكون الى الاستواء[2]؛ قال الشيخ الطوسي(ت ٤٦٠هـ): «العدالة في اللغة: أن يكون الإنسان متعادل الأحوال متساوياً، وأما في الشريعة هو مَنْ كان عدلاً في دينه عدلاً في مروته عدلاً في أحكامه».[3]

ويستفاد من ارادة الكاساني الحنفي(ت٥٨٧هـ)«بيان ماهية العدالة ما هي في عُرف الشرع»[4]، ثبوت الحقيقة الشرعية فيها[5]، لكن الظاهر أنه من باب الجري والتطبيق على بعض المصاديق؛ لعدم مقتضٍ لتجديد الوضع، بل هو تعددٌ في الاستعمال؛ كما يدل عليه:

أ- ما ذكره مسكويه(ت ٤٢١هـ) عن افلاطون أنه قال: «العدالة توسط...؛ -لأنها- في الوسط، والجور في الطرفين، -ثم استطرد

(١) المبسوط/ السرخسي: ١٦/٨٨-١٢١.

(٢) الفرق بين الاستواء والاستقامة : أن الاستواء هو تماثل أبعاض الشيء، ونقيضه التفاوت، والاستقامة الاستمرار على سنن واحد ونقيضها الاعوجاج.(الفروق اللغوية: ٥١)

(٣) المبسوط: ٨/٢١٧.

(٤)بدائع الصنائع: ٩/١٥.

(٥) ينظر: مفتاح الكرامة: ٨/٢٥٨.

مسكويه الى -أنها هيئة نفسانية تصدر عنها هذه الفضيلة».[١]

ب- وما قاله الغزالي(ت٥٠٥هـ): «العدالة عبارة عن استقامة السيرة والدين، ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه».[٢]

ت- وما قاله العلامة الحلي(ت٧٢٦هـ): «العدالة وهي: هيئة راسخة في النفس تبعث على ملازمة التقوى، وتزول بمواقعة الكبائر التي أوعد الله عليها النار- كالقتل ، والزنا ، واللواط ، والغصب - وبالإصرار على الصغائر أو في الأغلب ، ولا تقدح الندرة ، فإن الإنسان لا ينفك منها».[٣]

فالتوسط، واستقامة السيرة، والرسوخ النفسي، مفردات معبِّرة عن المبدأ الأول اللغوي للعدالة، وهو الاستواء.

٣- أما الاعتدال فهو: «تَوسُّطُ حالٍ بينَ حَالَيْنِ ، في كَمٍّ أو كَيْفٍ، كقولِهِم: جِسْمٌ مُعْتَدِلٌ بينَ الطُّولِ والقِصَرِ، وماءٌ مُعْتَدِلٌ بينَ البارِدِ

(١)تهذيب الأخلاق: ١٢٥.

(٢)المستصفى: ١٢٥.

(٣) إرشاد الأذهان: ١٥٦/٢.

والحَارِّ، ويومٌ مُعْتَدِلٌ طَيِّبُ الهَواءِ...وكُلُّ ما تَنَاسَبَ فَقَدْ اعْتَدَلَ، وكُلُّ ما أَقَمْتَهُ فَقَدْ عَدَلْتَهُ -بالتَّخْفِيفِ-، وعَدَّلْتَهُ- بالتَّشْدِيدِ-»[١]، «و يقال: عدلته حتى اعتدل، أي أقمته حتى استقام واستوى»[٢].

(١)تاج العروس / الزبيدي: ١٥ /٤٧٣ .

(٢) مقاييس اللغة / ابن فارس: ٤ / ٢٤٧.



الفصل الأول

العدالة في منظور أمير المؤمنين عليه السلام

العدالة في منظور أمير المؤمنين عليه السلام

إنّ تحقيق العدالة، بما تعنيه من التوازن والمحافظة على الحقوق العامة من الهدر والضياع، من أولويات أمير المؤمنين عليه السلام التي عمل جاهداً من أجل ترسيخها في النفوس، والحثّ على تمثّلها، كإحدى القيم الأصيلة التي يلزم التثقيف على ضرورتها وأهميتها، ومن الدلائل على التزامه العدالةَ مفهوماً وممارسةً قولُهُ عليه السلام :

١- «**أيها الناس، أعينوني على أنفسكم، وأيم الله لأُنصفنَّ المظلوم من ظالمه، ولأقودنَّ الظالم بخِزامته**[1]**، حتى أورده منهلَ الحق وإن كان كارهاً**»[2]؛ مما دلَّ على اهتمامٍ خاصٍ

(١)الخِزامة وهي: حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشد فيها الزمام.(مختار الصحاح: ٩٨)

(٢)نهج البلاغة: ١٩/٢ رقم ١٣٦.

قواعد العدالة في المجتمع، وتحقيقها بين جميع المكونات، وإشاعة مفهومها عملياً، فيدرج عليها الناس ويتعاطوها بأنفسهم، لتنجذب النفوس اليها، وتكون مألوفة غير منكرة، و لو حباً لمزاياها وآثارها في تحقيق الاستقرار الأمني، والازدهار الاقتصادي، والسلم العام؛ من خلال تأمينها لاطمئنان الفرد نفسياً، مع ما تقدمه من ضمانات لحقوق الجماعة، بما يحقق قوله عليه السلام:

٢- «**العدل يضع الأمور مواضعها**».[١]

٣- «**العدل سائسٌ عامٌ**».[٢]

٤- «**فإنَّ في العدل سعة، ومَنْ ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق**».[٣]

ليوضح عليه السلام بذلك أنَّ إقامة العدالة في المجتمع، ضمانة أكيدة لديمومة الحياة، بلا منغصات الظلم والعدوان والاحتراب والاحتقان، بل من شأن العدالة تسيير الأمور في طريقٍ مضمون السلامة، وتحقيق الطموحات والآمال، من دون تعدٍ أو تجاوز على أحد؛ ولهذا

(١) المصدر نفسه: ٤/ ١٠٢ رقم ٤٣٧ .

(٢)المصدر نفسه: ٤/ ١٠٢ رقم ٤٣٧ .

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٤٥ رقم ١٥.

عمل عليه السلام في خطته الاصلاحية على تطبيق المساواة، والانصاف، وإذابة الفوارق الطبقية، والغاء الامتيازات القائمة على المحسوبية والانتماء، وإقامة الميزان بالعدل؛ ليستوعب الجميع ضمن الضوابط الموضوعية.

ولم يكتفِ بممارسته هو عليه السلام لمبادئ العدل وترسيخ مفهومه، بل كان يُصدر مراسيم تعيين كبار موظفيه التنفيذيين، موشحة بتأكيده على مراعاة العدل والانصاف، وعدم التهاون في حقوق الرعية؛ فقال لواليه على مصر مالك الأشتر:

٥- «**و أشعِرْ قلبَكَ الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللّطف بهم، ولا تكوننَّ عليهم سَبُعاً ضارياً، تغتنم أكلَهم؛ فإنهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق**».[١]

ليؤكد عليه السلام على ضرورة تطبيق العدالة بإنسانية، من دون تعسفٍ أو استعلاء؛ لئلا يتحوّل الوالي والحاكم الى مستولٍ بقوة القانون على حقوق الجماهير، ومتحكمٍ بالثروات باسم حفظ النظام وفرض القانون، مع أنه قد نُصِبَ لمراعاة مواطنيه ورعاياه والمصالح العامة،

(١) نهج البلاغة ٣/ ٨٤ رقم ٥٣.

فحتى لا ينتقض الغرض من التنصيب والتكليف؛ ذكّره عليه السلام المشتركات الإنسانية، مبيِّناً أسبقيتها على كافة الانتماءآت الأخرى، فلابد من مراعاتها، والعمل ضمن مساحتها ؛ فإنها تساعد كثيراً على توفير الأمن والاستقرار، بما لا تستطيع توفيرَهُ السلطةُ الحاكمةُ ولو استخدمت نفوذها وإمكانياتها المتعددة ، بينما يضمنه الحاكم المستحضر لمسئوليته الإنسانية والشرعية والإدارية في المحافظة على أنسنة المجتمع، ومراعاة حقوق رعيته كافة، بدون أنْ يستثني الأقليات أو المعارضين من عدله و انصافه، وبدون أنْ يتحول – الوالي – الى أداة تنفيذ للقانون، مبتورة الروابط مع القيم والأخلاق؛ لما في ذلك من تأثير قوي على موظفيه ومعاونيه، فيترسمون خطاه، ويتبعون أثره في صرامته، لتتسع دائرة الخطر، بسبب تحوّل شريحة من الموظفين، الى آليين في تعاملهم مع شرائح المجتمع، مع أنَّ قرار التوظيف أو عقوده، كانت لتوفير الخدمات العامة لأفراد الشعب، المكوّن من مختلف الشرائح والألوان والانتماءآت، الأمر الذي ارتدّ بسلبياته على الأجواء العامة، ليكون التعالي والتكبّر والاستبداد والعلاقات الشخصية و المحسوبية وغيرها من الآفات، كأبرز صفات شخصية الموظف، وعندها يُخشى من انصهار المبادئ

الإنسانية وتلاشيها إلا قليلاً؛ لقوة تأثير المركز الوظيفي في المحيط، وسرعة التأثر به من قِبل المرؤسين.

لكن يمكن الحد من سلبيات ذلك باستحضار ما أكده عليه السلام بقوله:

٦- «**ولا تقولَنَّ إني مؤمَّر آمر فأُطاع؛ فإنَّ ذلك إدغالٌ**[١] **في القلب، ومنهكة**[٢] **للدين، وتقربٌ من الغِيَر**[٣]»[٤]؛ لأنه توضيح لعواقب التسلط الوظيفي، أو استخدام المنصب لأغراض الهيمنة، ولو ضمن اجراءآت التنفيذ أحياناً، وأنَّ لذلك ارتداداته السيئة، التي تبقى تبعاتها نفسياً وأخلاقياً واجتماعياً على ممارسها، بل وغيره:

أ- فيخسر -هو- صفاءه القلبي؛ لكثرة ما يستعمله من أساليب ملتوية-قد تكون محرّمة-، فيتلوث باطنه المعنوي بمكدرات الراحة القلبية، التي يشعر بها النزيه، سليم القلب.

ب- ويتورط شرعاً في تجاوزاتٍ لفظية أو فعلية؛ حيث يستسيغ

(١) أي إدخال الفساد.(لسان العرب: ٢٤٤/١١)

(٢) أي منقصة.(المصدر نفسه: ٤٩٩/١٠)

(٣) أي تبدل الأحوال وتحولها.(المصدر نفسه: ٤٠/٥)

(٤) نهج البلاغة: ٨٤/٣.

ذلك لنفسه؛ تمريراً لأوامره وقراراته.

ت- و يكون ازدواجياً في مشاعره وعلاقاته، بما يسبب له رفضاً وعزلة؛ كونه لم يلتزم بثوابت العلاقة مع الناس، و استبدلها بمتغيرات المنصب وما تمنحه السلطة من امتيازات، حتى كثُرَ المتضررون منه، ولم ينسوا منه ذلك؛ ولذا حذّر أمير المؤمنين عليه السلام عاملَهُ ومبعوثَهُ الى أذربيجان الأشعث بن قيس بقوله:

٧- «**وإنَّ عملك ليس لك بطُعمة**[١]**، ولكنه في عُنُقِك أمانة، وأنت مسترعىً لمَنْ فوقك، ليس لك أنْ تفتات**[٢]**في رعيةٍ، ولا تُخاطر**[٣]**إلا بوثيقة**»[٤]؛ ليذكّره بمفارقة المنصب، وأنَّ عملية التغييرات الإدارية مستمرة، فلابد من إعداد الجواب سواء:

أ- عاجلاً في الدنيا؛ إذ يُحال للتحقيق معه، وفتح ملفاته، وينتظر الحكم الصادر بحقه.

(١)الطعمة: المأكلة. (كتاب العين: ٢٦/٢)

(٢)أي تستبد. (لسان العرب: ٦٩/٢)

(٣)أي لا تجازف.

(٤)نهج البلاغة: ٦/٣.

ب- أم آجلاً في يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾[(١)]، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ[٢]﴾، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾.[(٣)]

فهو **أولاً**: محاسب ومسئول، وليس مصاناً أو معفى عنه، وهذا ما يقتضي منه دقة الاجراءآت، وحساب الخطوات المتخذة.

وثانياً: مطالَبٌ بتقديم وثائق صحة المعلومات المقدّمَة؛ ليثبت براءته ونزاهته، والا لحوسب أيضاً على جريمة تضليل محاكميه، وبهذا -لو طُبِّق- تُكفل نزاهةُ الجهاز الحكومي الإداري، وسير الأمور بسلاسة من دون تعقيد أو روتين، فضلاً عن تلاشي مظاهر الفساد المالي أو الإداري، ليستشعر الموظفون جميعاً -بمختلف درجاتهم-مسئولياتهم الإدارية والوطنية؛ حيث يكون التعدي على القانون عن استخفافٍ به، أو استهوانٍ لمخالفته؛ الأمر الذي يُلزم

(١)سورة الحاقة: الآية ١٨.

٢- سورة الأنعام: الآية ٩٤.

(٣)سورة الصافات: الآية ٢٤.

القادر على الردع، بتقديم النصيحة والمتابعة، والسعي في التقويم والمعالجة، كما يحرص الموظفون باستمرار على تحصيل شهادات تقييم الأداء؛ لما يترتب عليها من امتيازات مالية، أو ترقيات وظيفية، والا فيُخشى على مستقبل الأمة من تداعيات كثيرة، وهذا ما حثَّ على النهوض به أمير المؤمنين عليه السلام ، من النقد الذاتي البنّاء، والتقييم الموضوعي، على أساس الكفاءة و النزاهة، وحسِّ المواطنة؛ فقد قال عليه السلام:

٨- «**فإذا أدّت الرعيةُ الى الوالي حقَّهُ، وأدّى الوالي اليها حقَّها، عزَّ الحقُ بينهم، وقامت مناهجُ الدين، واعتدلت معالمُ العدل، وجرتْ على إذلالها**[1] **السُنن**[2]**، فصلُح بذلك الزمان، وطُمِعَ في بقاء الدولة، ويئست الأعداء**»[3]، مما يعني أنَّ المسئولية مشتركة بين الحاكم والمواطن، وهي تضامنية بين أفراد المجتمع على أساس المصالح المشتركة والمنافع العامة، فيجب أداء

(١)أي مجاريها وطرقها. (لسان العرب: ٢٥٨/١١)

(٢)السنن: جمع السنة وهي: الطريقة والسيرة، وهنا كناية عن مقادير الأمور؛ كونها على طريقة واحدة. (نهاية ابن الأثير: ٤٠٧/٢)

(٣)نهج البلاغة: ١٩٩/٢.

الأمانة في النصيحة و الالتزام بالعهد الجمعي على الاخلاص والصدق والمحافظة على ثوابت العباد، وثروات البلاد، وعدم التأثر بغيرها، ولا الكف بمجرد الردع عنها؛ لكونها مسئولية شرعية وطنية، فلابد من التحلي بالشجاعة في تقديم النصيحة وقبولها، والا أزمنت المشكلة واستعصت على الحلول والتفاهمات؛ بسبب التعنت والعناد؛ ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

٩- «**فإنه مَنْ استثقل الحقَّ أنْ يقال له، أو العدلَ أنْ يُعرض عليه، كان العملُ بهما أثقل عليه، فلا تكفّوا عن مقالةٍ بحق، أو مشورةٍ بعدل**»[١]؛ لينبّه بذلك على خطورة تمرّد أحدٍ على الحق، وليمرن النفوس و يطوعها للقبول به، وأنْ لا ترفض التصحيح، ولا تأبى التوجيه؛ لما للاستعداد النفسي من أثر كبير في حصول التفاعل الجسدي مع خطوات التصحيح؛ كتعاطي العلاج والجُرع الدوائية، أو ترك العادات المستحكمة، فلو اقتنع الفرد نفسياً بجدوى التغيير و أهمية التصحيح، ولم يستثقله، لتنازل عن المنصب وامتيازاته.

(١)نهج البلاغة: ٢٠١/٢.

و من هنا كان استعمال الفعل (استثقل)، بما له من دلالة على الرفض النفسي والرد العملي، مستوجباً لمواصلة النصيحة، والمتابعة الجادّة، ليستتبع ذلك الجهد المتوالي، عملاً وتطبيقاً من المستثقِل .

وإنَّ من مفردات تطبيق العدالة في المجتمع، العمل على برمجة تعيين الوزراء ضمن مؤهلات وضوابط، تنسجم مع أهمية الموقع، والدور المنتظَر من شاغليه، من إعانة الناس على تجاوز معاناتهم الحياتية، مما يحتم عدم التهاون في اختيار غير الكفوء، أو الغض عن استمراره في منصبه؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام :

١٠- «إنَّ شرَّ وزرائك مَنْ كان للأشرار قبلك وزيراً، ومَنْ شَرَكَهم في الآثام، فلا يكونّن لك بطانة؛ فإنهم أعوان الأثَمَة، وإخوان الظَلَمَة، وأنت واجدٌ منهم خيرَ الخلف، ممَنْ له مثلُ آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثلُ آصارهم وأوزارهم، ممَنْ لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا آثماً على إثمه»(١)

ليركز عليه السلام :

أولاً: على أهمية خلو ملف الوزير المراد تكليفه، من شوائب

(١)نهج البلاغة: ٣/ ٨٧.

معاونة الظالم، أو الاشتراك في المظالم.

ثانياً: على اكتشاف الطاقات، وعدم تأميم المناصب و احتكارها لفئة معينة، بل لابد من تكليف الكفوء النزيه غير المتورط بظلم أو أثم؛ تقييماً لمهنيته، وتقديراً لالتزامه .

ثالثاً: على عدم تقريب المتورط بظلم؛ حيث لا يؤمن من سوء تأثيره على مصادر القرار العليا المتصلة بمصائر العباد، أو ثروات البلاد؛ لكفاية غيره وكفاءته، مما لا ملزم معه للاستعانة بمَنْ لم يحقق العدالة، فهي المعيار والميزان ؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام:

١١- «**وإنَّ أفضلَ قرةِ عينِ الولاة استقامةُ العدلِ في البلاد، وظهورُ مودّةِ الرعية**»[1]؛ مشيراً بذلك الى أفضل طريق لتحقيق الاستقرار، واستتباب الأمن، فلا خوف من انقلاب، أو تكوّن معارضة سياسية، بعد تعميم الإنصاف، وتحقيق المطالب المشروعة، وعندها فلا مبرر لأحدٍ في التشنج مع السلطة، بعد اهتمامها بالرعية ، وعدم الاعتداء على حرياته المكفولة، لتتكون معادلة: الاهتمام بالرعية، مقابل ضمان الولاء، وعدم التمرد، بل للعدالة قيمتها الذاتية،

(١)نهج البلاغة: ٩٢.

التي تستحق معها إقامتها، ولو لم يخشَ الحاكم هياج الرعية؛ لأنَّه لو لم يعدل الوالي، فقد ظلم، والظلم مما يُغضب الله تعالى، وهو جبار السموات والأرض، و لا يفوته ظلمُ ظالم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

١٢- «**أنصف اللهَ وأنصف الناسَ من نفسك، ومن خاصة أهلك ، ومَنْ لك فيه هوى من رعيتك؛ فإنك ألا تفعل تظلم، ومن ظلم عبادَ الله، كان اللهُ خصمَهُ دون عباده، ومَنْ خاصَمَهُ اللهُ أدحض[1] حجتَهُ، وكان لله حرباً حتى ينزِع ويتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته، من إقامةٍ على ظلم، فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد**»[2]؛ مؤكداً عليه السلام ضرورة الإنصاف «وهو : إعطاء الحق على التمام»[3]؛ لأنه «نقيض الظلم»[4]، يقال: « أَنْصَفَ: إذا أَخَذَ

(١)أي أزال،فهو كناية عن عدم تأثير الأدلة والحجج. (الفروق اللغوية: ١١)

(٢)نهج البلاغة: ٨٥ -٨٦.

(٣)الفروق اللغوية / العسكري: ١٧٢ رقم ٦٧٥.

(٤)المصدر نفسه: ١٧٢ رقم ٦٧٥.

الحَقَّ، وأَعْطَى الحَقَّ»[1]، ومحذّراً عليه السلام من اختلال الموازين، وتأثر مركز القرار بمؤثرات جانبية، تُفقده المصداقية، و توقعه في الظلم، فلا يعدل، ويكون الشاهدُ عليه بالظلم، هو الحاكمُ[2]، وعندها لا تنفع لجان الدفاع ولو تعاضدت، ولا تدخّل غيرها ولو تكاثرت؛ لأنّ حجة الله أقوى، لا يدانيها تلقين المدافعين، ولا تعاطف الحكّام، بل لا ينفع سوى رجوعُ المتورط وتوبتُهُ، عسى الله سبحانه أنْ يقبلها، والا فهو موعود بزوال النعمة و حلول النقمة، والعياذ بالله.

ولهذا يُلزم -العقلُ- الموظفين ، -مهما كانت درجاتهم ومواقعهم- الحذر التام من التقصير؛ لأنه ظلمٌ، ﴿**وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾[3]، ﴿**أَلاَ إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ**﴾[4]، وعندها فيستعصي على التخريج والتكييف والتأويل، ويندم ذوو الأنانية الوظيفية، ولات حين مندم؛ ولذلك ذكّر عليه السلام بالعقوبة؛ ليتدارك

(١)تاج العروس: ٥٠٢/١٢ .

(٢)قالَ أمير المؤمنين عليه السلام: «**اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّه فِي الْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ** ».

(نهج البلاغة: ٥٣٢ رقم ٣٢٤)

(٣)سورة آل عمران: من الآية ٥٧.

(٤)سورة الشورى: من الآية ٤٥.

المسرف بعض أمره، ولا يتأثر بهواه؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام:

١٣- «**فإن الوالي إذا اختلف هواه، مَنَعَهُ ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمرُ الناس عندك في الحق سواء؛ فإنه ليس في الجور عوضٌ من العدل**»[١] مذكِّراً بحقيقة التضاد الذاتي، والتنافر الطبعي بين الظلم والعدل، فشتان بين منع الحق ودفعه، ومبيِّناً مضاعفة الجرم؛ بعد صدوره عمن أؤتمن على تحقيق العدالة، بما يؤسِّس لضرورة مراقبة الحاكم لطاقمه الإداري؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته لواليه على البصرة: عثمان بن حنيف الأنصاري:

١٤- «**أما بعد يابن حنيف: فقد بلغني أنَّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعتَ إليها، تُستطاب لك الألوان، وتُنقل إليك الجفان**[٢]**، وما ظننتُ أنك تجيب إلى طعامِ قومٍ، عائلُهم مجفو**[٣]**، وغنيهم مدعو**»[٤]؛ ليبين:

أولاً: إنَّ المنصب مسئولية وتكليف، وليس بموقع تشريف.

---

(١)المصدر نفسه: ١١٥-١١٦.

(٢)الجفان: جمع الجفنة وهي: إناء الطعام الكبير. (لسان العرب: ٨٩/١٣)

(٣)أي مقاطَع،ولا يتواصل معه الناس. (كتاب العين: ١٨٩/٦)

(٤)نهج البلاغة: ٧٠/٣.

وثانياً: أهمية متابعة الحاكم شئون رعيته ومواطنيه، أينما كانوا، ماداموا تحت راعويته، المستلزمة لرعايته؛ ولذا لم يقل اهتمامُهُ عليه السلام بمَنْ كانوا في البصرة، عمَنْ في الكوفة أو غيرها؛ فسجّل عليه السلام اعتراضه على حضور الوالي في ولائم النخب، وانكفاء الأغنياء عن الفقراء، مع أنَّ مشتركات المواطنَة، تحتِّم اهتمام الوالي بشرائح المجتمع وقضاياهم، أكثر من لقاءآت عابرة تفرضها مصالح مؤقتة، أو ظروف خاصة، بل يلزم التواصل بما يحقق الهدف من تنصيب الوالي، وأنْ لا يبتعد عن هموم الرعية وتطلعاتهم.

وثالثاً: إنَّ حضورَ المسئول الإداري ومشاركتَهُ في ولائم أُبعد عنها الفقراء، وقُرّبَ فيها الوجهاء، سابقةٌ خطيرةٌ تؤشَر مجتمعياً، على أنها مباركةٌ للإقصاء والتهميش، فيكون ظلماً من الوالي لبعض رعيته، وهو تغييب للعدالة المؤتمن على تحقيقها، فضلاً عن كونها حالة تمييز طارئة على مجتمعٍ مضيافٍ، لتدفع المجفوين -أحياناً- الى الاحتجاج أو الانتقام، فتزداد فرص تنفيذ الجريمة المنظمة، أو زعزعة السلم العام بل الأمن الوطني.

هذا مع أنَّ الله تعالى ضمن للفقير رزقه، كما للغني، لكن للشعور

بألم الظلم والاضطهاد وطأة شديدة جداً، لايقاوم ضراوتها إلا قليل؛ ولذلك كانت من الأولويات محاسبة الحاكم العام لواليه على رعيته، وتشديده بالمراقبة عليه، وعدم الاكتفاء بحُسن الظن فيه، بل مقتضى الأمانة أنْ يوصل اليه النصح، لو لم يُتُح اللقاء به، وعندها تظهر هيبة الدولة، وعزة القيادة، وتصحّ الشعارات في إقامة العدل، ورعاية المحرومين، والا فالمسئولية مشتركة بين الجميع؛ قال تعالى: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ**﴾[1].

---

(١)سورة الصافات: الآية ٢٤.



الفصل الثاني

الاعتدال عند أمير المؤمنين عليه السلام

الاعتدال عند أمير المؤمنين عليه السلام

إنّ من العدالة، ممارسة الاعتدال؛ تحقيقاً للاستواء والاستقامة، و تطبيقاً لقواعد التعايش السلمي مع الآخر؛ حيث يستوي الناس في إنسانيتهم، بما تنعدم معها فوارق التفاضل الطبقي، و التمييز العنصري، وإنْ امتاز إنسان عن آخر، بمؤهلات وصفات، يفترق بسببها عنه، لكنها - على كل حال-لاتوجب حقاً بالميل عليه، أو الاجحاف لحقه؛ بعد اقتضاء التقوى مراعاة المشترك الإنساني، وعدم التنكر له، أو التغاضي عنه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يؤسِّس للاعتدال في المجتمع:

١- «**فأعطهم من عفوك وصفحك، مثلَ الذي تحب أن يعطيك اللهُ من عفوه وصفحه**»[1]؛ مبيناً أنَّ اعتماد معايير الاستواء،

(١)نهج البلاغة: ٣/ ٨٤.

يُلزم بإنصاف الآخر واعطائه الحق؛ لاحتياج الإنسان الى عفو ربّه تعالى ؛ وأنْ يتجاوز عن ذنوبه، فكما يأمل ألا يُعاقَب هو على تقصيره، لابد له من ممارسة ذلك العفو والصفح عملياً مع غيره، ولاسيما الحاكم مع الرعية، وما يفرضه التفاوت الطبقي بينهما من امتياز، بينما هو مدعو- أكثر -بإشاعة ثقافة التسامح، وتغليبه في أجواء التوتر النفسي، أو نشوب العداوة الشخصية، أو حدوث المقاطعة، على الأخذ بالثأر، وتعميق الفجوة، بما لذلك من إفرازات وتراكمات، تساعد على ازدياد الاحتقان، وهشاشة بُنية المجتمع الواحد، في ظل وجود تجاذبات كثيرة، بما يُلزم بالتآزر والتغاضي عن الأخطاء؛ لتصفو الأجواء ، وإلا لاختلَّ الميزان؛ إذ يتمنى العبد عفوَ ربه تعالى، لكنه لا يفعّل دور العفو في حياته مع الناس، والجميع مفتقر الى ذلك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

٢- «اجعلْ نفسَكَ ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تُحِبْ أن تُظلَم، وأحسِنْ كما تُحب أن يُحسَن إليك، واستقبح

من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارضَ من الناس بما ترضاه لهم من نفسك»[١]؛ موضحاً بذلك خطة عمل متكاملة، تعتمد مبدأ التوازن في العلاقة مع الآخر، بلا انتقائية، وتضمن النجاح، وتحظى بالمقبولية؛ لانسجامها مع النُظم الطبيعية، والأحكام العقلية، القاضية بحُسن الحَسَن، وقبح القبيح- من كل أحد، ومع كل أحد- بما يؤهّله لوصفه بالقانون الفطري لاسلوب التعاطي مع شريكٍ أصيلٍ في الحياة، مما يحتم الاهتمام به، والتواصل معه بما يؤصّل للتفاهم والتقارب.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

٣- **«خالطوا الناسَ مخالطةً**[٢]**، إنْ متم معها بكوا عليكم، وإنْ عشتم حنّوا إليكم»**[٣]؛ بما يؤطِّر العلاقات الاجتماعية بالتآلف والتوادد، ويخليها من التمييز المقيت، الذي يُفقد صاحبه حُسن السمعة، وطيب الذكر، وجميل الذكرى، حياً وميتاً؛ بسبب ابتعاده عن منهج الاعتدال، والميل للتطرف أو العنف في العلاقة الثنائية-مع

(١)المصدر نفسه: ٤٥-٤٦.

(٢)كناية عن التعايش الايجابي ضمن الضوابط .

(٣)المصدر نفسه: ٤/٤.

ابتنائها على الود والاحترام-، بما تقصر معه امتدادات الدعاية الزمانية أو المكانية عن تعويضه، فكان لزاماً العمل على استيعاب الآخر، و إزالة أسباب الاحتقان المؤدية للاختلاف، بدون قمعه؛ لاتساع مفهوم الناس في قوله عليه السلام المتقدم، للموافق والمخالف- في الرأي أو اللون أو الدين أو غيرها من الفوارق-بما يلزم بالعمل ضمن مساحة المشتركات، والاحتفاظ بالقناعات الشخصية؛ لئلا تؤثِّر سلباً في الجو العام؛ كونه المسرح الذي لا يمكن عزل أيٍّ مكوّنٍ عن الظهور عليه، أو تنقيته من تعدديته؛ إذ تكشف بدورها عن قابلية الإنسان للإصلاح، وكفاءته في التأثير، وبدونها-التعددية- تبرز النمطية، ويغلب التحكم، بما يصل في أقسى حالاته الى الاضطهاد؛ ليُقتل إنسان بسبب انتمائه العقيدي، أو ممارساته الشعائرية، التي لا يخلو منها مجتمع -حتى المتحرر عن الالتزامات الدينية-، أو يُعذَّب لنشاطه الثقافي، أو انتسابه لأحدٍ أو بلدٍ، مع أنّ حبل المشتركات أقوى من غيرها؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام:

٤- «**أيها الناس، مَنْ عَرَفَ من أخيه وثيقةَ دينٍ وسدادَ طريقٍ، فلا يسمعنَّ فيه أقاويلَ الرجال، أما إنه قد يرمي الرامي**

وتخطئ السهام ويحيل[1]**الكلامُ، وباطلُ ذلك يبور**[2]**، والله سميعٌ وشهيدٌ، أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع–** فسُئل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجَمَعَ أصابعَهُ ووَضَعَها بين أذنه وعينه، **ثم قال: الباطلُ أن تقولَ: سمعتُ، والحقُّ أن تقول: رأيتُ**»[3]؛ ليؤكد دور الثوابت الإنسانية، في حماية الإنسان وضمان حقوقه، مما يوجب التروّي والتثبّت قبل الحكم على أحدٍ، وعدم التعجّل والتسرّع في فرض الوصاية على أحدٍ، وإلا فلا مأمنٍ عن النزاعات و آثارها السيئة بما يتجاوزها، ويصل الى القمع الجسدي، مع أنّ في الاستماع خياراً مفضلاً عن القمع؛ قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[4]، ومن دون اتباع أساليب التسفيه أو التكفير أو الإستهزاء أو إغراء الجَهَلَة به؛ لارتداداتها السلبية على نقاء الفكرة،

---

(١)أي يتحرك ويدور، وهو كناية عن التغيّر وعدم الثبات. (مقاييس اللغة: ١٢١/٢)

(٢)أي يهلك، وهو كناية عن زواله وعدم بقائه.(مقاييس اللغة: ٣١٦/١)

(٣)نهج البلاغة: ٢٤/٢.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٥.

فتؤثر عليها قتاماً أو تضبيباً؛ لأنَّ حتى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شروطهما في التطبيق، مما يؤسِّس لضوابط معينة؛ لئلا يهدر الوقت والجهد؛ فلذا حدّد عليه السلام منهج الحوار، من خلال الالتزام بمقتضيات الاعتراف بوجود الآخر وعدم تهميشه أو الغائه، الأمر الذي يعيق التواصل، ويضر بتماسك المجتمع، بل أوصى بالتزام فضائل الأخلاق، حتى تكون سجيةً وطبعاً متأصلاً، ومعلَماً من معالم شخصية الفرد، تعكس ما يضمره اتجاه الآخر؛ وذلك لشدة العلاقة بين الصفات والتصرفات، وانعكاسها عنها؛ فلابد من تربية الفرد على محاسن الصفات ومكارم الأخلاق، ليتربى على قيم ومبادئ أصيلة، تقرِنُ بين احترامه لنفسه واحترامه لغيره، ويتعايش سلمياً مع الآخر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

٥ - «**البشاشةُ حِبالةُ**(١) **المودة**».(٢)

٦ - «**التوددُ نصفُ العقل**».(٣)

---

(١)الحِبالة: مايُصاد به. (نهاية ابن الأثير: ٣٣٣/١)

(٢)نهج البلاغة: ٤/٤.

(٣)المصدر نفسه: ٣٤.

٧- «**بالنَصَفَة**[١] **يكثُرُ المواصلون**».[٢]

٨- «**اشعِر قلبكَ الرحمةَ للرعية**».[٣]

٩- «**أكرمُ الحسَبِ حُسنُ الخُلُق**».[٤]

١٠- «**إنْ لم تكن حليماً فتحلّم**».[٥]

١١- «**من أشرف أعمال الكريم، غفلتُهُ عما يعلم**»[٦]؛ لتشيع الصفات الحميدة بين الناس، وينشأ الصغار، ويشيب الكبار عليها، وتكون رقماً مؤثراً في حسابات الجميع، بل من أبرز صفاتهم؛ فيمتازوا:

أ- حُسن اللقاء والبشاشة والابتسامة.

ب- استعمال عبارات الود والاحترام.

ت- اتباع منهج الإنصاف؛ بوصفه مقرِّباً بين المتباعدين، ومؤثراً

---

(١)الإنصاف: وهو إعطاء الحق. (لسان العرب٣٣٢/٩)

(٢)نهج البلاغة: ٥٠/٤.

(٣)المصدر نفسه: ٨٤/٣.

(٤)المصدر نفسه: ١١/٤.

(٥)المصدر نفسه: ٤٧.

(٦)المصدر نفسه: ٥٠.

قوياً في الاستقطاب؛ لدلالته على حيادية المُنْصِف واستقلاليته عن الترسبات النفسية أو البيئية، والتأثر بما ينافي حُسن الخُلُق، وما يقتضيه من الرحمة والحلم والتغافل عن الإساءة.

كما يلزم اجتناب سيئات الصفات ورذائلها أيضاً؛ لتحصيل التكامل المنشود.

قال أمير المؤمنين عليه السلام محذِّراً مما يتنافى مع الاعتدال ، ويمنع عن التكامل:

١٢- «لا تباغضوا؛ فإنها الحالقة[١]».[٢]

١٣- «إياك أنْ تجمحَ[٣] بك مطيةُ اللّجاج[٤]».[٥]

١٤- «مَنْ بالَغَ في الخصومة أثِمَ، ومَنْ قصّرَ فيها ظُلِم، ولا يستطيع أنْ يتقي الله مَنْ خاصَم».[٦]

---

(١)كناية عن ذهاب العلاقات وزوالها؛بسبب البغض والتشنج.

(٢)نهج البلاغة: ١٥١/١.

(٣)أي تُسرع إسراعاً؛بحيث لا يردها شيء. (نهاية ابن الأثير: ٢٩١/١)

(٤)أي التمادي في الأمر والإصرار عليه. (لسان العرب: ٣٥٣/٢)

(٥)نهج البلاغة: ٥٣/٣.

(٦)نهج البلاغة: ٧٢/٤.

١٥- «**زُهدُك في راغبٍ فيك نقصانُ حظ، ورغبتُك في زاهدٍ فيك ذُلُّ نفس**».[١]

١٦- «**كفاك أدباً لنفسك، اجتنابُ ما كرهتَهُ من غيرك**»[٢]؛ مما يعطي قاعدة في التعامل بين الأفراد، ويحقق الاعتدال معهم؛ وذلك من خلال:

أ- استبدال البغض بالحب؛ ضماناً للإبقاء على الوشائج والصِلات، وعدم التعرض للزوال.

ب- عدم الملاجّة في المحاورة، أو الاصرار على المواقف عناداً، أو التحريض على ذلك؛ فقد تتصاعد الى خصومة، يصعب السيطرة على مدياتها وتداعياتها، ويكون الأثم والذنب؛ بسبب الظلم.

ت- التوازن في المواقف، وعدم الإقبال على المدبر، أو الإدبار عن المُقبل، بما تستتبعه من الهوان والذل.

ث- العمل على اجتناب ما عابَهُ الإنسان على غيره، وإلا لتكرر الخطأ، فيُلامُ الإنسان على عدم أخذه العبرة، لكن لا يعني ذلك

---

(١)نهج البلاغة: ١٠٤/٤.

(٢)نهج البلاغة: ٩٦.

مطلقاً الانكماش، بل الانسجام والاندماج بما يحقق التآلف الاجتماعي؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام:

١٧- «**مقاربةُ**[(١)] **الناسِ في أخلاقهم، أمنٌ من غوائلهم**[(٢)]»[(٣)]؛ داعياً الى مد جسور العلاقة و التقارب، بقدر ما يحفظ عن المكائد والعداوات الشخصية، دون الانخراط الكامل، والذوبان التام؛ إذ لكلٍ أثره؛ فبالتقارب مع الناس، تُكتسب الخبرة؛ وتؤمن بعض المخاطر والشرور، وما عداه فيُتدارك بالصبر وحُسن التدبر؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام:

١٨- «**فاصبروا حتى يهدأ الناسُ، وتقع القلوبُ مواقعَها، وتؤخذ الحقوقُ مُسْمَحَةً**[(٤)]»[(٥)]؛ حيث لا موجب للمغالبة والمعاجلة؛ لأنَّه خروج عن الاعتدال والاستواء، وإنما لابد من التحلي بالحكمة، وضبط النفس؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام:

(١)كناية عن المرونة الأخلاقية.

(٢)جمع الغائلة وهي: المهالك. (نهاية ابن الأثير٣/٣٩٧)

(٣)نهج البلاغة: ٩٤/٤.

(٤) كناية عن إعطائها بالرضا الكامل و من دون حرج.

(٥)المصدر نفسه: ٨١/٢.

١٩- «**احمل نفسَكَ من أخيك عند صرمِهِ[١] على الصلة، وعند صدودِهِ[٢] على اللّطف والمقاربة، وعند جمودِهِ[٣] على البذل، وعند تباعدِهِ على الدنو، وعند شدّتِهِ على اللّين، وعند جرمِهِ على العذر، حتى كأنك له عبدٌ، وكأنه ذو نعمة عليك، وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه، أو أن تفعله بغير أهله**»[٤]؛ لئلا تتسع مساحة الخلاف، فتتعسر الحلول، وعندها يجب اعتماد الاعتدال، كمرتكز للخروج من الأزمة؛ لكونه أفضل ضامنٍ لحفظ الأمن، وتهيئة النفوس للتعايش، فلا تعدله الاستحضارات الأمنية، أو الاستعدادات العسكرية أو الاقتصادية، فضلاً عن مفاوضات التسوية، الأمر الذي يحتم على الجهات المعنية من وزارات أو منظمات أو هيئات، رعاية مظاهر الاعتدال، والحث على مراعاتها، وتعبئة الجماهير بروح الاعتدال، وتشجيعهم على ممارسته ؛ لما لذلك الحث الجمعي، من قدرةٍ أقوى تأثيراً من الفعاليات

(١)أي قطعه. (نهاية ابن الأثير: ٢٦/٣)

(٢)أي إعراضه وهجرانه.(المصدر نفسه: ١٥)

(٣)كناية عن بخله.

(٤)نهج البلاغة: ٥٣/٣.

الفردية.



الخاتمة

وأخيراً فهذه مقاربات فكرية:

١- يُهدف منها الإطلاع على سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في العدالة والاعتدال، نظريةً وتطبيقاً، وبعض ما أسسه في ذلك، مما ينعكس ايجاباً على الواقع الحياتي المعاصر، تشريعاً وتنفيذاً.

٢- و يؤمل لها أنْ تنبعث بين الناس و يتأصّلوها في ممارساتهم؛ اغتناءً بما توفّره من معطيات، تساعد على تقنين العدالة كمرتكزٍ أساس، لا يستقيم بناء المؤسسات المختلفة بدونه.

٣- ويُتوقع منها أنْ تهيء صيرورةً للاعتدال، فيكون منهجاً سلوكياً، وخطة عملٍ مستديمة، تساعد على التنمية والنجاح، ومن الله التوفيق.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الأمكنة والبلدان

فهرس المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- إرشاد الأذهان: العلامة الحلي.

٣- أساس البلاغة: الزمخشري.

٤- بدائع الصنائع: الكاساني.

٥- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي.

٦- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر.

٧- تهذيب الأخلاق: مسكويه.

٨- العين: الفراهيدي.

٩- الفروق اللغوية: العسكري.

١٠- لسان العرب: ابن منظور.

١١- المبسوط: السرخسي.

١٢- المبسوط: الشيخ الطوسي.

١٣- مجمع الزوائد: الهيثمي.

١٤- مختار الصحاح: الرازي.

١٥- المستصفى: الغزالي.

١٦- مفتاح الكرامة: السيد العاملي.

١٧- مقاييس اللغة: ابن فارس.

١٨- النهاية: ابن الأثير.

١٩- نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي.

وكان جلّ هذه المصادر مما احتواه قرص (مكتبة أهل البيت عليهم السلام)

الإصدار الأول ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

فهرس المحتويات